معا ، ولا يستحقون اي اهتمام . والفلاحون في فلسطين ، شأنهم مثل شأن الفلاحين في اماكن اخرى ، سوف ينتفعون كثيرا من الحماية التي يقدمها لهم الاستعمار الاوروبي ضد جشع الافندية الذي يأخذ بخناقهم »(٣٩) .

ولما كانت القومية العربية فكرة حديثة العهد جدا ، وبما أن العرب لم يقدموا انفسهم كهيئة متماسكة ومتراصة الصفوف ، فقد سهل على الكثيرين من الانكليز ان يعتقدوا بانعدام القدرة السياسية لدى العرب على تنظيم انفسهم . وممـا قاله ماينرتزهاغن : « العربي يمثل الركود ويجسد اللااخلاق والحكم المهترىء ، بالاضافة الى مجتمعه الفاسد والكاذب »(٤٠) . « فالعربي سوف يبقى على احتضانه للافكار الجامدة، ولن يرى أبعد من العقائد الضيقة التي نادى بها محمد »(٤١) . لقد اعتقد ماينرتزهاغن بان «المملكة العربية ليست اكثر من مجرد حلم ، وان الشعور القومي العربي يستمد اساسه من نقودنا الذهبية ليس الا »(٤٢) . أما آرثر بلفور فقد أعلن صراحة بانه ينبغي على ٧٠٠ الف عربي من سكان فلسطين الا يقفوا حجر عثرة في طريق فكرة نبيلة وسامية كالفكرة الصهيونية(٤٣) .

ونظر مارك سايكس الى العربي في ضوء مشابه تقريبا لنظرة اليهودي الليفانتيني . فاعتقد بذلك « العربي الحقيقي الذي سوف يستعيد أمجاد الخلافة الغابرة ، ويجمع بين أحدث الطرق الاوروبية وذلك التسامح والتقوى التي عرفت عن المسلمين في عصرهم الذهبي — وحافظت على نقاوتها من شوائب الليفانتينية والالحاد والمادية »(٤٤) . لكن هذه الصورة للعربي النبيل والاصيل لم تكن لتوجد الان في الشرق الاوسط . فهو يقول بان « سكان الموصل يتحدرون من صلب تلك العشائر العربية الحضرية ، كالعشائر التي تقيم في كل من حماه وحمص ودمشق ، وهي المعروفة بالفخار والتبجح والغرور . وهم ، على فصاحتهم ودهائهم وسرعة انفعالهم وجبنهم ، يمثلون في نظري صورة من أشد الصور استنكارا لما يتاح للمرء ان يراه في الشرق »(٤٥) . كما انه اطلق على البدو تسمية « متسكعي الصحراء »(٤٦) .

ان قضية العرب لم تحظ بتأييد فعلي ابان مفاوضات الصلح ، ولم تتوفر للعرب تلك الشخصية التي تمثل مصالحهم بقوة هناك . ولقد بدا ان اهتمام لورنس بالقومية العربية لم يتجاوز الطابع الرومنطيقي والعابر من الاهتمام . فهو يصرح قائلا في احدى المرات : « ان هدفنا كان يقضي باقامة حكم عربي ، يستند الى قواعد عريضة تضم الاهالي والسكان المحليين بحيث يكفي ذلك لاستخدام حماس الثورة وتضحياتها الذاتية مترجما الى شروط للسلام »(٤٧) .

بيد ان اهتمام لورنس يبدو على قدر كبير من الانانية وحب الذات في جوهره . فلو أقدمت الحكومة البريطانية ، بدافع المصالح الامبريالية ، على خيانة الحركات الوطنية العربية ، لكان هو نفسه يشعر بالاهانة والاساءة على صعيد شخصي(٤٨) . وفي رسالة بعث بها الى روبرت غريفز عام ١٩٢١ كتب لورنس يقول : « ليتني لم أذهب الى هناك ، فالعرب أشبه بصفحة طويتها ، والتتمات أمور بالية وعفنة »(٤٩) . حتى انه اظهر في بعض الاحيان ميولا صهيونية . ففي رسالة الى أمه نجده يضمنها الوصف التالي : « ... خيام البدو القذرة والمتهدمة ، حيث يناديك الناس الى الدخول والتحادث معهم ... بينما كانت فلسطين بلدا لائقا ، ويمكن ارجاعها الى سابق عهدها بسهولة تامة . اذ كلما عجل اليهود في حراثتها ، كان ذلك من الافضل »(٥٠) . ربما ان الصهيونية أتاحت فرصة أمام اخراج الفرنسيين من الليفانت ، فان هوغارث او لورانس لم يعارضا السياسات الصهيونية ابان مؤتمر الصلح . فقد كتب لورانس في احدى اوراقه المؤرخة في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ يقول : « يأمل العرب ان يحتفظ البريطانيون بما استولوا عليه . انهم لن يوافقوا على الاستقلال اليهودي بفلسطين ، لكنهم سوف